أَنبَتَهَا الوَحْيُ

كَيْفَ يَصْنَعُ القُرْآنُ شَخْصِيَّتَكَ ؟

فَايِز بْن سَعِيد الزَّهْرَاني

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة الكتاب	٩
الفصل الأول: من الحمأ المسنون إلى خليفة الأرض	١٧
هل القرآن يصنع شخصيتك؟	١٩
التدبُّر.. مفتاح الصناعة وطريق الهداية	٣٥
البدايات الموفَّقة	٥٠
الفصل الثاني: الوحي وإعادةُ التعريفات الكبرى ...	٦٥
التعريف بالله تعالىٰ	٧٠
التعريف بالإنسان	٩٥
التعريف بالحياة	١٢٦
الفصل الثالث: وسائل عملية للتدبر المؤثر	١٥٣
الوسيلة الأولىٰ: تدبّر القرآن في الصلاة	١٥٧
الوسيلة الثانية: الوِرد اليومي	١٦٨

الوسيلة الثالثة: المدارسات القرآنية ١٧٧
الوسيلة الرابعة: المشاريع القرآنية الخاصة ١٨٢
الوسيلة الخامسة: بحث النوازل وحل المسائل والمشكلات ١٨٦
الفصل الرابع: أقفال تمنعك من التأثر بالقرآن ... ١٩٣
عتمة الآثـام ١٩٨
ضبابية التصورات ٢٠٣
انشطار القلب ٢٠٨
المدخلات الفوضوية ٢١١
الارتهان الوجداني ٢١٧
الخاتمة ٢٢١
المراجع ٢٢٥

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيم الخبير، والصلاة والسلام علىٰ رسولنا محمد، خاتم الأنبياء وسيد الأولياء وإمام الأتقياء وقدوة الأصفياء، وعلىٰ آله وأصحابه وأزواجه.. وبعد:

فلا يزال الناس إلىٰ يومنا هذا يتحدثون عن نعمة الله عليهم ببعث رسوله محمد ﷺ، وبإنزال القرآن عليه ليكون هاديًا لهم إليه وإلىٰ جنات النعيم، وإنها لأعظم النعم وأجلّ الرحمات التي نعمت بها البشرية. وكيف لا يكون ذلك، وكل نبي بعث إلىٰ قومه أخبرهم عن هذا الأمر الجلل، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران:٨١-٨٢].

وبينما المسلمون ينعمون بكتاب الله بين أيديهم، وفي صدورهم، فإنه يتوجب التذكير بما يجب علينا تجاهه من التوقير والإجلال، ومن العمل والاتباع، ومن التدبر والاهتداء؛ والتذكير بدور القرآن الكبير في تشكيل حياة الناس وقيادة مجتمعاتهم.. ولا يكون ذلك إلا بالإقبال عليه، وورود مشرعته، والاغتراف من هداياته.

ومن هذه الأدوار الكبرىٰ للقرآن صناعةُ الشخصية المسلمة، المهتدية بكتاب الله، المتأثرة بتوجيهاته، المنتفعة بإرشاداته. لكن ذلك يتطلب أن يتوجه المؤمن إليه بقلبه وجوارحه، يقرؤه ويرتله، ويتلوه ويتدبره، حتىٰ تستقيم نفسه وتزكو، ويكون من أهل القرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن قراءة القرآن علىٰ الوجه المأمور به تورث القلب: الإيمان العظيم، وتزيده يقينًا وطمأنينة وشفاء)[1].

وقد دأب العلماء والفضلاء علىٰ التذكير بهذه المهمة الإيمانية، والحث عليها، وألقوا المواعظ في ذلك، وشرحوا للناس معنىٰ التدبر، وألَّفوا وصنفوا في هذا الباب العظيم، إيمانًا منهم بأنه من أجلِّ مقاصد نزول القرآن، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]. وقد أفدت من كثير من ذلك، فجزاهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء وأوفاه، ونفعني والمسلمين بما فعلوا.

لكن سؤالاً مهمًّا ينبغي طرحه اليوم: لماذا يقرأ الملايين القرآن ولا يتغيرون؟ ولماذا تشعر أن القرآن لا يغيِّرك؟ أو أن تأثيره فيك أضعف من غيرك؟ هذا ما يجعلنا نبحث عن آلية الصناعة القرآنية للشخصية.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٢٨٣.

فأحببت أن أقدم هذا الموضوع للأجيال القرآنية الجديدة، مريدًا بذلك أن يكونَ لهم دليلاً في طريق التدبر النافع والمؤثر، الذي يراد منه صناعة الشخصية التي عهدنا القرآن يصنعها في أهله وأصحابه؛ إذ رأيت كثيرًا من الصادقين -فيما أحسبهم- يقفون علىٰ عتبات القرآن، يريدون الولوج إلىٰ عالمه؛ فلا يهتدون لذلك.

والذي دعاني لذلك سؤال الكثير من الشباب: كيف نجعل القرآنَ يؤثر فينا ويغيرنا؟ وكيف يصنع القرآنُ شخصياتنا؟ فكنت أتحدث إليهم مرة بعد مرة عن هذا الأمر، وأنا أحوج الناس إليه، ثم رأيت أن أكتب فيه بعض الفصول، والله ولي التوفيق، وهو المسؤول -سبحانه وعليه اتكالي وهو المستعان، وبين يديه أجثو وأنطرح ذليلاً- أن يجعلني أول المستفيدين منها، وأن ينفعني بكتابه.. فالكتاب في جملته يجيب عن هذا السؤال: كيف يصنع القرآن شخصيتك؟

وقد قسَّمتُ الكتاب إلىٰ أربعة فصول:

الفصل الأول: تمهيدي في أصل الفكرة، وأن الوحي ينقل الإنسان من أصله الطيني إلىٰ المقامات العلية، وما الذي يراد منا قبل الشروع في التفاعلات القرآنية.

والفصل الثاني: يتحدث عن المضامين الرئيسية التي يحتاج القارئُ إلىٰ معرفتها، ليتلمَّسها في قراءته وتدبره.

والفصل الثالث: يعرض بعض الوسائل العملية لإنجاح عملية التدبر المراد منها التأثر والانتفاع والتغير، باعتبارها مقترحات مفيدة.

والفصل الرابع: يذكر معوقات الانتفاع بالقرآن، والموانع التي تقف حاجزًا عن حركته في قلبك ووجدانك، حتىٰ تكون منها علىٰ بيِّنة، فتجتنبها علىٰ الدوام عمومًا، وتجتنبها إذا أردت الانتفاع بالقرآن علىٰ وجه الخصوص.

وسميته: «**أنبتها الوحي**»؛ لتشبيه النبي ﷺ أهلَ الإيمان الذين ينتفعون بالوحي ويُحدِث فيهم أثرًا وتأثيرًا، الوارد في الحديث عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا؛ فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فَقُهَ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدىٰ الله الذي أُرسلت به**»[1].. فهؤلاء الذين أثمر فيهم الوحي وأنبتهم بطريقته، وكذلك يصنع القرآن بأهله المتدبرين.

---

(١) البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٢٨٢).

وأودُّ التنبيه إلىٰ نقطة محورية: وهي أن هذا الكتاب لا يُستفاد منه كما يريد المؤلف وكما يتصور، إلا إذا قُرئ كاملاً؛ فالفكرة فيه مبنية بناء تراكميًّا، وليس منفصل الأجزاء، وهناك موضوعات في داخله تبيِّن ما سبقها أو تقيدها أو تفصلها.

فدونك هذا الكتاب، الذي أرجو أن يتحوَّل إلىٰ خطة عمل لتربية النفس؛ فإن وجدت فيه ما يفيد فالحمد لله الموفّق والهادي، وإن وجدت خلاف ذلك فالتمس لأخيك العذر وادعُ له بالعفو والمغفرة. رب اجعل هذه الورقات دليلاً إلىٰ كتابك، وانفع بها كاتبها وقارئها وناشرها، واجعلها نجاة وذخرًا بين يديك، وقنا والمسلمين الفتن والشرور. رب اغفر لي ولوالديّ وارحمهما كما ربياني صغيرًا.. آمين.

وكتبه

فَايِزبْن سَعِيْد الزَّهْرَاني

فجر الإثنين ٣٠ رمضان ١٤٤٧هـ

Fayzzhr35@gmail.com